مساهمة الرو اية في تجسيد الأفكار الفلسفية
رو اية "هكذا تكلم زرادشت" نموذجا

The novel's contribution to embodying philosophical ideas is the novel "Thus Speaks Zarathustra" is a model

طاهري صدام
كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مولود معمري تيزي وزو

تاريخ الاستلام: 2020/09/30 تاريخ القبول: 2020/11/10 تاريخ النشر: 2020/02/30

الملخص:
لقد استطاعت الرواية في توطيد العلاقة مع الفلسفة في نقل الأفكار إلى عامة الناس، وأن تغير في الحياة تغييرا منهجيا فعالا، بعدما كانت حبيسة النخبة التي كانت تفك خيوط التفلسف، فباتت الفلسفة والرواية صناعة حياة فقد رأينا على سبيل المثال ممن فضل دخول مغامرة الحياة من باب الرواية الفيلسوف نيتشه في روايته هكذا تكلم زرادشت حيث كرس لنظريته الشهيرة حول الإنسان المتفوق, وانعكست فيها فلسفته الخاصة عن تمجيده للقوة من خلال سلسلة من الخطب التي تسلط الضوء على تأملات زرادشت, صاغ أفكاره الفلسفية في قالب ملحمي وبلغة شعرية موجها أفكاره بالدرجة الأولى إلى الحضارة الأوروبية وحداثتها وعقلانيتها.
الكلمات المفتاحية: الرواية؛ الفلسفة؛ نيتشه؛ زرادشت؛ الإنسان المتفوق.

Abstract:
The novel was able to strengthen the relationship with philosophy in conveying ideas to the general public, and to change in life systematically and effectively, after being trapped by the elite that was breaking the threads of philosophy, so philosophy and novel became the making of life, we saw for example those who preferred to enter the adventure of life as a novel philosopher Nietzsche in his novel so zardasht spoke where he devoted to his famous theory about the superior human being His own philosophy of glorifying power was reflected in a series of speeches highlighting Zoroaster's reflections, formulating his philosophical ideas in an epic form and in poetic language, directing his ideas primarily to European civilization, modernity and rationality.
Keywords: the novel; Philosophy; Nietzsche; Zoroaster; The superior human being.

[1]- طاهري صدام، طالب دكتوراه، Tahris1991@gmail.com

مقدمة:

تاريخيا كانت العلاقة بين الفلسفة والأدب علاقة شك وارتباك كبير، فقد كان أفلاطون واضحا للغاية في عدائيته تجاه الفن لأن الاشتغال الفني والأدبي يؤدي إلى إنتاج ضلالات عاطفية قد تقوّض أي مسعى فلسفي نحو الحقيقة، واتخذ موقفا في غاية العدائية عندما دعا إلى إقصاء المنتجين لأي شكل درامي أدبي خارج نموذج جمهوريته الفاضلة، لكن هذا المسعى واجه مشكلة تكمن في أن الفلسفة بقيت حبيسة النخب التي كانت تفك خيوط التفلسف، فحاول الفلاسفة الغربيون كسر هذا الحاجز الوخيم فلجأوا إلى الرواية من أجل تكريس أفكارهم ونظرياتهم الفلسفية إلى عامة الناس، ومن بين من فضلوا دخول مغامرة الحياة من باب الرواية الفيلسوف الألماني نيتشه في روايته هكذا تكلم زرادشت, مكرسا نظريته الفلسفية من خلال سلسلة من الخطب تسلط الضوء على تأملات زرادشت موجها فلسفته إلى الحضارة الأوروبية، لذا نحاول طرح التساؤل التالي: هل ساهمت الرواية في توطيد العلاقة مع الفلسفة دون تعطيل المسعى نحو الحقيقة؟ وهل ساعدت في تجسيد الأفكار الفلسفية إلى عامة الناس؟

مفهوم الرو اية:

في البداية يجب أن نوضح بتعدد مفاهيم الرواية حسب الباحثين فيها، فهي نوع أدبي يصور فردا مأزوم غير متصالح مع مجتمعه، وهذا الفرد لن يكون إلا شخصية إنسانية خرجت من أرض الواقع واستمدت منها معظم مكوناتها المادية والمعنوية[1]، ومنهم من يعتبرها حكاية خيالية وجنس نثري سردي فني تستمد خيالها من طبيعة تاريخية عميقة، وتستمد فنيتها من كونها شكلا يقصد من التأثير على متلقيه من خلال استعماله أساليب جمالية، إنها مؤلف تخيلي نثري يقدم شخصيات معطاة كشخصيات واقعية يجعلها تعيش في وسط ويعمل على تعريفها بسيكولوجيتها بمصيرها بمغامراتها[2]، ونجد من عرف الرواية بأنها مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلها عدة شخصيات على مسح الحياة الواسع، شاغلة وقتا طويل من الزمن، ويعتبرها بعض الباحثين الصورة الأدبية النثرية التي تطورت عن الملحمة القديمة.[3]

---

[1]- طه الوادي, الرواية السياسية، ط.1, بيروت, مكتبة لبنان، 2003 ، ص73.

[2]- الأحمر فيصل, نبيل داودة، الموسوعة الأدبية، ط.2, باب الواد الجزائر، دار المعرفة، 2009, ص349.

[3]- أحمد أبو السعد, فن القصة،ط1، منشورات دار الشرق الجديدة،1959،ص25.

إذن بإمكاننا إدراج هذه المفاهيم في فهم الرواية باعتبارها فن أدبي تتميز بسردها لمجموعة كبيرة من الأحداث بأسلوب نثري، وقد تكون شخصيات الرواية خيالية وقد تكون حقيقية، وقد تجري أحداثها بأماكن وظروف غريبة وخيالية تتميز بعنصر التشويق، حيث تجعل القارئ يغوص في عالمها ويعيش الحدث بشكل مستمر، والرّاوي البارع هو من يوهم القارئ بحقيقة معينة ويبعد أنظاره عن الحقيقة الأصلية، الأمر الذي يجعل القارئ يصطدم بالحقيقة عندما يصل إلى نهاية الرواية.

الدعائم الفنية للرو اية:

الرواية على غرار الفنون النثرية الأخرى تقوم على دعائم فنية توضح مقاصدها للقارئ، وفي هذا الصدد سنتناول بالدراسة كل عنصر من هذه الدعائم الفنية.

السّرد

هو العملية الروائية التي يقوم بها الرّاوي "فيتم السّرد بنقل الحادثة من ذهن الكاتب إلى الورقة عن طريق اللغة وربما أتى السّرد عن طريق الحوار أو على لسان إحدى الشخصيات، وهذا ما يسمى بالأسلوب غير المباشر"[4]، يستحضر عالما خياليا مكونا من أشخاص يتحركون في إطار زماني ومكاني محدد وما دام السّرد قولا فهو لغة ومن ثم فإنه يخضع لما تخضع له اللغة من قوانين وأهداف، والهدف الذي تسعى إليه اللغة هو التواصل أو التوصيل[5].

الشخصيات

يعد من أهم العناصر الرواية وتقوم بلعب أدوار مختلفة في الرواية وتتنوع الشخصيات في الرواية فمنها الرئيسية كشخصية البطل وهناك الثانوية، ويستمد الكاتب شخصياته من خياله أو من القصص التاريخية، وفي معظم الأحيان يواجه البطل عددا كبيرا من المخاطر والتحديات[6]، والشخصية القصصية هي أحد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة، ويجب على القاص أن يتقن اختيار الشخصيات التي يوظفها للتعبير عن أفكاره، وهي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث[7].

الحوار

---

[4]- أنطونيوس بطرس, الأدب العربي (تعريفه، أنواعه، مذاهبه)، ط.1, طرابلس, المؤسسة الحديثة للكتاب, 2011, ص155.

[5]- طه الوادي، دراسة في نقد الرواية، ط3، القاهرة, دار المعارف، 1994، ص39.

[6]- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط.2, بيروت, مكتبة لبنان للنشر والتوزيع،1984، ص208.

[7]- عزيزة مريدن، القصة والرواية، بيروت, ط.1, دار الفكر المعاصر، 1980، ص27.

من أهم ما قيل في وصف الحوار الفني أنه هو الذي يوحي بالحقيقة الكامنة وراء المظاهر وفي خفايا شخصيات المتحيزة[8]، وهذا يعني أن الحوار يكون "بين شخصيات الرواية ويعمد إليه الروائي ليكشف عن شخصياته وأبعاده النفسية، كما أنها تعينه على بناء الحَبكة القصصية[9]، والحوار جزء من البنية العضوية للرواية له ضرورته وأهميته فهو يدل على الشخصية ويحرك الحدث ويساعد على حيوية المواقف و لا بد أن يكون دقيقا بحيث يكون عاملا من عوامل الكشف عن أبعاد الشخصية و الوصول بالفكرة المراد التعبير عنها, والحوار الجيد يكشف عن معاناة شاقة مع الموقف والكلمة ودلالات اللفظ[10].

البيئة الفنية (الزمان والمكان)

يُعد عنصر البيئة ركنا أساسيا في البناء القصصي فهو الحيز الطبيعي الذي يقع فيه الحدث وتتحرك في مجاله الشخصيات، فلابد لكل عمل أن يتم في زمان ومكان، ومن ثم فالصلة بينهما وبين العمل الأدبي صلة ضرورية، كما أن صفاته تختلف من نوع قصصي لآخر من حيث الاتساع والضيق، وذلك بحسب طاقة كل جنس وقدرته الفنية، فيجب أن تكون البيئة مركزة قدر الإمكان حتى تتم له السيطرة على تصوير الحدث القصصي[11]، ويعد الزمان والمكان عنصران أساسيان من عناصر الرواية ومن خلالهما يستطيع القارئ تصور العصر الذي وقعت فيه الرواية، وبالتالي إمكانية التعايش معها، حيث يمثل الزمن عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها القص، فإذا كان الأدب يعتبر فنا زمنيا فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن[12]، أما المكان في الحقيقة هو البيئة التي يعيش فيها الناس, ولا شك أن الإنسان ابن بيئته وهي التي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية فنحن جميعا بشر، لكن المكان الذي تولد فيه هو الذي يحدد سمائنا الخاصة المتميزة، لذلك يجب أن يهتم الكاتب القصصي بتحديد المكان اهتماما كبيرا[13].

---

[8]- تاورتة العيد، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الانسانية، العدد21, 2004, جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1, ص58.

[9]- لوكاتش جورج, نظرية الرواية، ت: الحسين سحبان، ط.1, الدار البيضاء, منشورات التل، 1988، ص100.

[10]- عبد الرحمان الشرقاوي، ثريا العسيلي، دراسات أدبية, ط.1, الهيئة المصرية العامة للكتاب,1995, ص297.

[11]- انظر: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة1987-1985،للدكتور/شريبط أحمد شريبط, منشورات اتحاد الكتاب العرب, 1998, ص38.

[12]- سيزا قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ" ،ط.1, مكتبة الأسرة، 2004 ،ص37.

[13]- طه الوادي، دراسة في نقد الرواية، مرجع سابق, ص37.

الوصف

يراه أحد النقاد بأنه الأساس الذي تبني عليه الرواية من حيث خدمة أحداثها[14]، ويقوم الوصف في الفعل السّردي مقام العمود الفقري الذي يعطي لهيكل النص اعتداله واستقامته، وليس السّرد في حقيقته الأولى إلا وصفا لوقائع وأحداث تتخللها أحداث في إطار زماني ومكاني[15].

الحَبكة (العقدة)

وهي الطريقة التي يتم بها سرد الأحداث، ويقع التأكيد فيها على الأسباب والنتائج، كما يجب ترتيب الأحداث للوصول إلى التأثير المقصود لدى القارئ من خلال الحَبكة فهي "سلسلة من الأفعال التي تصمم بعناية وتتشابك صلاتها وتتقدم عبر صراع قوى بين الأضداد إلى ذروة وانفراج"[16]، ومن خلالها يتعرف القارئ على الأجواء التي تدور فيها القصة، ثم التوتر والتعقيد إثر حادث معين حتى يصل إلى النهاية أو ما يشبه الحل وهو ذروة الانفراج.

تجسيد عناصر الرو اية في رو اية هكذا تكلم زرادشت:

رواية فلسفية تتألف من أربعة أجزاء، تسلط الضوء على تأملات النبي الفارسي زرادشت، ولتأليف هذه الرواية قصة عجيبة فنيتشه كان ناقدا لاذعا للفيلسوف سقراط و للنبي المسيح، و نلاحظ أن كل ما وصنا عن هذين الشخصيتين وصلنا عن طريق من كتبوا عنهم (أفلاطون أو الحواريين)، وقد تبنى نيتشه مسؤولية اصلاح البشرية كهاتين الشخصيتين، فألف كتابه الذي يطلق عليه اسم الانجيل الخامس، يقول نيتشه عن كتابه هذا: "من بين كل أعمالي يحتل زرادشت موقعا خاصا، عبره تقدمت إلى البشرية بأكبر هدية لم يسبق أن نالت مثلها إلى حد الآن، هذا الكتاب بنبرته التي تعبر آلاف السنين ليس أعظم كتاب على الإطلاق فحسب, كتاب أعالي بحق، إنه أيضا الكتاب الأكثر عمقا، كتاب طالع من الأعماق السرية لكنوز الحقيقة، بئر لا ينضب حيث لا تنزل دلو دون أن تصعد ممتلئا ذهبا وخيرا كثيرا ."[17]

مستهل زرادشت

---

[14]- عبد القادر بن سالم, السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، الجزائر, اتحاد الكتاب الجزائريين، ص56.

[15]- حبيب موني, شعرية المشهد في الابداع الأدبي، دار العرب للنشر والتوزيع، 2003، ص212.

[16]- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ص135.

[17]- نيتشه فريدريك، هذا هو الإنسان، تر: علي مصباح، منشورات الجمل, 2003، ص10.

"لما بلغ زرادشت الثلاثين من عمره، هجر وطنه وبحيرته وسار إلى الجبل حيث أقام عشر سنوات يتمتع بعزلته وتفكيره إلى أن تبدلت سريرته، فنهض يوما من رقاده مع انبثاق الفجر وانتصب أمام الشمس يناجيها قائلا: لو لم يكن لشعاعك من ينير أكانت لك غبطة أيها الكوكب العظيم"[18], طوال الكتاب الأول يمجد نيتشه الباحثين عن الحقيقة، ومن يعتزلون العالم بحثا عنها لا من يعتزل الحياة كرهاً فيها، "وانحدر زرادشت من الجبل فما لقي أحدا حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه شيخ خرج من كوخه بغتة ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب، فقال الشيخ: ليس هذا الرحّالة غريبا عن ذاكرتي لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر سنوات ولكنه اليوم غيره بالأمس"[19]، "فسأل زرادشت: وما هو عمل القديس في هذا الغاب؟ فأجاب القديس: إنني أنظم الأناشيد لأترنم بها، فأراني حمدت الله إذ أسر نجواي فيها بين الضحك والبكاء، لأنني بالإنشاد والبكاء والضحك والمناجاة أسبح الله ربي، ومع هذا فما هي الهدية التي تحملها إلينا؟ فانحنى زرادشت مسلما وقال للقديس: أي شيء أعطيك دعني أذهب عنك مسرعا كيلا آخذ منك شيئا، وعندما انفرد زرادشت قال في نفسه: إنه لأمر جد مستغرب ألم يسمع هذا الشيخ في غابة أن الإله قد مات".[20]

إن عبارة موت الإله هو حدث لاحظه نيتشه في حضارة القرن التاسع عشر، في قرن العلم الوضعي والفعالية الصناعية والثورات السياسية، ضاقت مكانة الله أكثر فأكثر واختفى الله شيئا فشيئا، وعموما إن موت الإله هو إذا قبل كل شيء حدث، وهذا الحدث يبقى على الفيلسوف أن يفسره، يمكن تفسير هذا الحدث مباشرة على أنه زوال مفهوم الآخرة من حقل ثقافتنا، إن موت الإله هو أولا موت الآخرة إلغاء الإيمان بعالم آخر[21].

"وإذ وصل زرادشت إلى المدينة المجاورة وهي أقرب المدن إلى الغاب، رأى الساحة مكتظة بخلق كثير أعلنوا من قبل أن بهلوانا سيقوم هنالك بالألعاب، فوق زرادشت في الحشد يخاطبهم قائلاً: إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه، فماذا أعددتم للتفوق عليه؟"[22]، " إن كلا من الكائنات أوجد من نفسه شيئًا يفوقه، لقد اتّجهتم على طريق مبدؤها الدودة

---

[18]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، تر: فيليكس فارس، ط.1, الإسكندرية، 1938،ص33.

[19]- المصدر نفسه: ص34.

[20]- المصدر نفسه: ص35.

[21]- بيار هيبر،سوفرين, زرادشت نيتشة، تر: أسامة الحاج، ط.2, بيروت, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2002، ص49.

[22]- المرجع نفسه: ص35.

ومنتهاها الإنسان، غير أنكم أبقيتم على جل ما تتصف به ديدان الأرض لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديَّته، لقد أتيتكم بنبأ الإنسان المتفوق، إنه من الأرض كالمعنى من المبنى، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الإنسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحا لها"[23].

لعلّ فكرة الإنسان المتفوق لنيتشه هي من أهم المفاهيم التي أنتجها فكره، الإنسان المتفوق لا يظهر إلا بعد موت الإله، في هذه اللحظة تتضح إمكانات الإنسان بحرية، أما دائرة عمل الحرية فلا محدودة إذ لم يعد الإله يحد الإنسان.[24]

يتبع الإعلان عن الإنسان المتفوق مباشرة تلميح إلى نظرية داروين في النشوء والارتقاء، لكن لا ينبغي فهم هذا المقطع بحرفيته، فهو لا يستخدم النظرية كحجة، بل كمقارنة تربوية، ليس الإنسان الأسمى نوعا جديدا ولده الانتخاب الطبيعي، سوف يحل محل الإنسان الحالي مثلما حل كنوع محل الأنواع السابقة من القرود.[25]

"أتوسل إليكم، أيها الإخوة بأن تحتفظوا للأرض بإخلاصكم فلا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها، إنهم يعلونكم بالمحال فيدسون لكم السم، سواء اجهلوا أم عرفوا ما يعملون أولئك هم المزدرون للحياة، لقد رعى السم أحشاءهم فهم يحتضرون، لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها"[26]، يدين نيتشه في مواضع عدة تطلع الإنسان إلى السماء ويطلب منه أن يعود للأرض، لأن من لا يهتم بالأرض لن يعمرها ولن يقدم شيئاً للإنسان في الواقع، بل يبيع له الوهم في مكانٍ لا ندركه، وفي كلماته تجسيد الثقل الذي يفرضه أولئك المحتضرين على من يريد أن يحيا" لقد كانت الروح تنظر فيما مضى إلى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من مجد يطاول عظمة هذا الاحتقار لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلا قبيحا جائعا متوهمة أنها تتمكن بذلك من الانعتاق منه ومن الأرض التي يدب عليها وما كانت تلك الروح إلا على مثال ما تشتهي لجسدها ناحلة قبيحة جائعة، تتوهم أن أقصى لذتها إنما يكمن في قسوتها وإرغامها، أفليست روحكم أيها الإخوة مثل هذه الروح؟"[27]، إن الفكر الفلسفي القديم قد اعتبر الوجود الإنساني مؤلف من نفس وجسد، حيث أن النفس أعلى شأنا من الجسد، وامتدت نظرة الاحتقار إلى الجسد في الفكر الديني اللاهوتي الذي اعتبر الجسد حاملا للنجاسة والغرائز المفسدة.

---

[23]- المرجع نفسه: ص36.

[24]- فنك أويغن، فلسفة نيتشه، تر: إلياس بديوي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،1974, ص84.

[25]- فنك أويغن، فلسفة نيتشه، مرجع سابق: ص56.

[26]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق, ص36.

[27]- المصدر نفسه: ص36.

"وبعد أن ألقى زارادشت هذه الكلمات أجال أنظاره في الحشد وسكت ثم قال في قلبه: لقد تملكهم الضحك فهم لا يفهمون ما أقول، وما أنا بالصوت الذي يلائم هذه الأسماع أعليَّ أن أسد آذانهم ليتمرنوا على الإصغاء بعيونهم؟"[28]

"وطرأ حادث كمَّ الأفواه واسترعى الأبصار، وكان البهلوان بدأ بألعابه فاندفع من النافذة وأخذ يتمشى على الحبل الممدود, وما وصل إلى وسط الحبل حتى فتحت النافذة مرة ثانية، واندفع منها فتى مخطط بالألوان كالمهرّجين وسار متبعا خطوات البهلوان صارخا إلى الأمام أيها الكسلان، ولما رأى البهلوان انتصار خصمه عليه أخذه الدوار وخلت رجله عن الحبل فرمى عارضة التوازن من يديه وسقط"[29], "وانفرط الناس مولين الأدبار وانفرج المكان، ولكن زرادشت لم يتحرك فوقع الجسم على مقربة منه, وما عتم أن عاد روع الجريح إليه فرأى زرادشت جاثيا قربه فرفع رأسه وقال له ماذا تفعل هنا؟ ما كنت أجهل أن الشيطان سيُضل خطواتي يوما وها هو ذا الآن يجرني إلى جحيمه، أفتريد أن تمنعه؟ فقال زرادشت وشرفي يا صديقي إن ما تذكره لا وجود له، فليس من شيطان وليس من جحيم، إن روحك ستموت بأسرع من جسدك فلا تخش بعد الآن شيئا, فرفع الرجل بصره مشككا وقال إذا كان ما تقوله صحيحا فإنني لا أفقد شيئا بفقد الحياة، فقال زرادشت لا ليس الأمر كما تقول فإنك اتخذت المخاطرة مهنة لك ولم يكن فيها ما يشين، أما الآن فمهنتك هي أن تفنى، من أجل هذا سأدفنك بِيَدِي"[30].

"ورفع زرادشت الجثة على كاهله ومشي حتى زحمه مهرج البرج، فأسر إليه اذهب من هذه المدينة يا زرادشت فإن مبغضيك فيها كثيرون، هنا يكرهك أهل الصلاح والعدل فيصفونك بالعدو، ويكرهك المؤمنون بالدين الحق فيرون بك خطرا على عامة الناس، وقد كان من حظك أن هزأ الحشد بك، لأنك كنت تتكلم كالمهرجين، فقد كان خلاصك هذه المرة في إسفافك إلى هذه المهاوي، ولكنك لن تسلم في الثانية فاذهب من هذه المدينة وإلا فإنني قافز غدا فوق جثة أخرى"[31]، ويوضح أن من يأتي بالحقيقة لن يقابل إلا بالرفض والعداء و الاتهامات، لأنه جاء لينقض الكذب الذي يعتبره الناس حقائق مُسلم بها، حيث نقرأ "مع ذلك فالحقيقة هي التي تنطق من خلالي، لكن حقيقتي فظيعة ذلك أن الكذب هو الذي ظل يُدعى حقيقة حتى الآن "[32].

---

[28]- المصدر نفسه: ص39.

[29]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق, ص41.

[30]- المصدر نفسه: ص42.

[31]- المصدر نفسه: ص43.

[32]- نيتشه فريدريك، هذا هو الإنسان، مصدر سابق, ص153.

"وطال نوم زرادشت حتى غمرت وجهه أنوار الضحى، ففتح عينيه مبهوتا وسرح أبصاره على الغاب ثم حولها يستكشف نفسه ساكنا مستغربا وهب من مجلسه, لأنه اكتشف حقيقة جديدة فخاطب قلبه قائلا لقد انفتحت عيناي"[33].

هنا يتكلم نيتشه عن صفات المبدع، المدمر والباني، الناقض والمجدد، في كثير من المواضع، ويبين أنه لن يحظى إلا بالعداء والاتهامات، ويقول بأن من واجبه مساعدة الآخرين على الخروج عن القطيع، لأنه لا يسعى لتكوين قطيع هو الآخر ولا يريد أن يكون راعٍ هو الآخر، حيث نقرأ "إنني بحاجة إلى رفاق أحياء لا إلى رفاق أموات وجثث أحملهم إلى حيث أريد، إنني أطلب رفاقا أحياء يتبعونني، لأنهم يريدون أن يتّبعوا أنفسهم أيّان توجهت، لقد انفتحت عيناي، إنني ما جئت إلا لأخلص خرافا عديدة من القطيع، وسوف يتمرد الشعب والقطيع علي، إن زرادشت يريد أن يعامله الرعاة معاملتهم للصوص، قلت رعاة غير أنهم يُدعون بالصالحين والعادلين، قلت رعاة غير أنهم يدعون بالمؤمنين بالدين الحق"[34].

ويكتب عن من يعارض المبدع قائلا "انظروا إلى أهل الصلاح والعدل لتعلموا من هو ألدُّ أعدائهم، إنه من يحطم الألواح التي حفروا عليها سُننهم، ذلك هو الهدّام ذلك هو المجرم، غير أنه هو المبدع"[35]، وعن هدف المبدع المغاير لكل هدف الفلاسفة والأنبياء نقرأ "إلي بالرفاق، إنني أطلبهم مبدعين ولا أطلبهم جثثا وقطعانا ومؤمنين، إن المبدع لا يتخذ له رفاقا إلا من كانوا مثله مبدعين، إنه يتخذهم ممن يحفرون سننا جديدة على ألواح جديدة"[36]، وهو بذلك يثبت أنه داعٍ حقيقي للحرية لا ساعٍ لبناء قطيع جديد كغيره من الدوغمائيين، ولهذا نراه لا يمجد نفسه بل يقول "سياج على حافة نهر أنا ليمسك بي من استطاع أن يلمسني لكنني لست عكازا تتوكؤون عليه"[37].

خطب زرادشت

منابر الفضيلة

"وبلغ زرادشت خبر حكيم أطنب الناس في علمه ومقدرته في التكلم عن الكرى(النوم) وعن الفضيلة فحبوه بالتكريم والتبجيل، واتَّبعه عدد من الشبان أصبحوا دعامة لمنبره العالي، فذهب زرادشت وجلس معهم أمام المنبر مصغيا إلى الحكيم فكان يقول مجدوا الكرى وعظموه، لأن له المقام الأول وتحاشوا مرافقة من ساء رقادهم، إن اللص ليقف خاشعا أمام الكرى فيدلج في الليل مخرسا وقع

[33]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق, ص44.

[34]- المصدر نفسه: ص45.

[35]- المصدر نفسه: ص45.

[36]- المصدر نفسه: ص45.

[37]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق, ص45.

أقدامه, وبعد أن أصغى زرادشت إلى هذه الأقوال تملك ضحكه، وأشرق نور في جوانب نفسه فناجاها قائلا يتراءى لي أن هذا الحكيم قد جُن كخواطره الأربعين ولكنه جدّ خبير بحالات الكرى، إن قاعدة هذا الحكيم إنما هي اسهروا لتناموا"[38]، هنا يحذر نيتشه في مواضع أخرى من دعاة الفضائل الذين يصفهم بمن يتحدثون عن النوم في كناية عن تخدير الشعوب.

"لقد أدركت الآن ما كان يطلب الناس قبل كل شيء عندما كانوا يفتشون على أوليات الفضائل، إنهم كانوا يطلبون النوم الهنيء والفضائل التي يتجلى على مفرقها تاج المخدرات، وما كانت الحكمة في عرف حكماء المنابر، وقد نالوا الإعجاب والثناء إلا قاعدة نوم لا تقلقه الأحلام، إنهم لم يكتشفوا معنى أفضل من هذا المعنى للحياة، وكم في أيامنا هذه من أناس يشبهون هذا الواعظ في دعوته إلى الفضيلة, طوبى لمن دبّ إلى عيونهم النعاس إنهم عما قريب سيرقدون"[39].

المأخوذون بالعالم الثاني

"ما أوجدت العوالم الأخرى في هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز، ذلك ما أوجدته تلك العوالم فأوجدت معه هذا الجنون السريع الزوال بسعادة ما ذاقها من الناس إلا أشدّهم آلاما"[40]، وعن الإيمان بالإله والقيم الماورائية يعتبرها نيتشه إهانة للإنسان وعقله، حيث نقرأ "لقد علَمتني ذاتي عزة جديدة أعلمها الآن للناس علمتني ألا أخفي رأسي بعد الآن في رمال الأشياء السماوية، بل أرفعها رأسا عزيزة ترابية تبتدع معنى الأرض، يا إخوتي فأصغوا إلى صوت الجسد الذي أبل من دائه، لأن هذا الجسد يخاطبكم بصوت أنقى وأخلص من تلك الأصوات"[41].

القراءة والكتابة

عن الأفكار والكتابة، يرى أن إتاحة التعبير للجميع عن آرائهم قد جعلت من عالم الأفكار فوضى عارمة، ومكانا سيئا في الغالب، حيث يقول "إذا أعطي لكل إنسان الحق في أن يتعلم القراءة فلن تفسد الكتابة مع مرور الزمن فحسب، بل إن الفكر نفسه سيفسد أيضًا"[42]، يمجد نيتشه من يكتب بصدق أي بدمه، ويعتبر كلماته رسالته حيث يقول "إنني أستعرض جميع ما كتب، فلا تميل نفسي إلا إلى ما كتبه الإنسان بقطرات دمه، اكتب بدمك فتعلم حينئذ أن الدم روح، وليس بالسهل أن يفهم الإنسان

[38]- المصدر نفسه: ص49.

[39]- المصدر نفسه: ص51.

[40]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق, ص52.

[41]- المصدر نفسه: ص53.

[42]- المصدر نفسه: ص61.

دما غريبا، إنني أبغض كل قارئ كسول، لأن من يقرأ لا يخدم القراءة بشيء، وإذا مر قرن آخر على طغمة القارئين فلا بد من أن تتصاعد روائح النتن من التفكير"[43].

المنذرون بالموت

هنا يسعى نيتشه في معاداته لدعاة الموت "ما أكثر المنذرين بالموت, إن الأرض مكتظة بالدخلاء وقد أفسدوا الحياة، فما أجدرهم بأن تستهويهم الحياة الأبدية ليخرجوا من هذه الدنيا"[44]، "إنهم لأشد الناس خطرا، إن هؤلاء المسوخ لم يبلغوا مرتبة الإنسانية بعد، فليبشروا بكره الحياة وليقلعوا عن مرابعها, هؤلاء هم المصابون بسل الروح، فإنهم لا يكادون يولدون للحياة حتى يبدأ موتهم، وقد شاقتهم مبادئ الزهد والملال يود هؤلاء الناس أن يدرجوا في عداد الأموات، فعلينا أن نحبّذ إرادتهم, إذا هم صادفوا مريضا أو شيخا أو جثة ميت، فإنهم يقولون لقد انتفت الحياة، ولو أنصفوا لقالوا إنهم هم نفي للحياة"[45].

الصنم الجديد

لنيتشه آراء سيئة حيال الدولة وكونها كيان مستبد يقمع الشعب والحرية، وأن وجودها نقيض لوجود الشعوب، "أعيروني أسماعكم لأخاطبكم عن موت الشعوب, ليست الحكومة إلا أبرد مسخ بين المسوخ الباردة، فهي تكذب بكل رصانة إذ تقول, أنا الحكومة أنا الشعب"[46]، "إياكم وتصديق ما تقول، فما كوّن الشعوب إلا المبدعون الذين نشروا الإيمان والمحبة، فأتوا بأجل خدمة للحياة، وما الناصبون الأشراك للجموع الغفيرة إلا من يهدمون كيانها، ليشيّدوا الحكومات على أنقاضها، ويعلقوا نصلا قاطعا فوق رأس الشعب، وينصبوا مئات الشهوات أمام عينه"[47].

خاتمة:

أصبحت الرواية ملاذ الفلاسفة نحو تكريس أفكارهم ونظرياتهم الفلسفية، فقد صنعت كثيرا من الانقلابات المعرفية في حياتنا المعاصرة وتركت أثر بالغ لدى المجتمعات، ولقد رأينا أن نيتشه على سبيل المثال ممن فضل دخول مغامرة الحياة من باب الرواية، لا ليكتب الرواية من أجل الرواية وإنما من أجل الفلسفة فباتت الفلسفة والرواية صناعة حياة، حيث استطاعت أن تغير في الحياة تغييرا منهجيا، وأنها تساعد كثيرا من القراء على أن يعيشوا حياتهم، وقد تخلصوا من مخاوفهم وأوهامهم، وقد ازدادوا

---

[43]- المصدر نفسه: ص61.

[44]- المصدر نفسه: ص65.

[45]- نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق, ص65.

[46]- المصدر نفسه: ص69.

[47]- المصدر نفسه: ص69.

معرفة بأنفسهم وبغيرهم من الناس، فالحياة المعروضة في الروايات وتجاربها حقل تجريبي سيستفيد منه القارئ لإغماء تجربته الخاصة وتتمتها بما يراه ويشهده من أحداث ومصائر في بيئات مختلفة متباينة أشد التباين, فأصبحت الفلسفة عن طريق الرواية تخاطب العامة بدل النخب فعندما نقرأ عن معضلة فلسفية في سياق نص أدبي فنحن لا نسعى إلى مجرد فهم المعضلة وحسب بل إلى الشعور بها في المقام الأول، حيث أضافت عنصر الإثارة والتشويق، الأمر الذي يجعل القارئ يتأثر بشخصية بطل الرواية زرادشت الذي يلعب دورا كبيرا في مسار الرواية من خلال ما يواجهه البطل من مخاطر والتحديات، وبالتالي يغرس الكاتب قيم وأفكار جديدة لم يعتد عليها المجتمع من خلال إحاطة بجملة من الأحداث مهمة للقارئ للاكتشاف المعنى من الذات المنفعلة, ولعلى القوة التي ترتكن إليها الرواية في نثر المعنى هي تعدد تقنياتها التي تعطي المبدع أو الأديب مساحة شاسعة، ليفيض بما تجود به قريحته المشاعرية والفكرية أيضا، ولأن الرواية هي متنفس الفلاسفة التي بها يشعرون بتقليب فلسفتهم على جميع وجوهها من زمان ومكان وشخصيات وأحداث فيها تغمر الفيلسوف بكل تقنياتها لتلازم الأدب، وتعود القطيعة التي دامت قرونا بين الأدب والفلسفة عبر السرد.

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

1. نيتشه فريدريك، هذا هو الإنسان، تر: علي مصباح، منشورات الجمل, 2003.
2. نيتشه فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، تر: فيليكس فارس، ط.1, الإسكندرية، 1938.

المراجع:

1. أحمد أبو السعد, فن القصة، ط1، منشورات دار الشرق الجديدة،1959.
2. أنطونيوس بطرس, الأدب العربي (تعريفه، أنواعه، مذاهبه)، ط.1, طرابلس, المؤسسة الحديثة للكتاب, 2011.
3. بيار هيبر،سوفرين, زرادشت نيتشة، تر: أسامة الحاج، ط.2, بيروت, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2002.
4. حبيب موني, شعرية المشهد في الابداع الأدبي، دار العرب للنشر والتوزيع، 2003.
5. سيزا قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، ط.1, مكتبة الأسرة، 2004.
6. طه الوادي, الرواية السياسية، ط.1, بيروت, مكتبة لبنان، 2003.
7. طه الوادي، دراسة في نقد الرواية، ط3، القاهرة, دار المعارف، 1994.
8. عبد الرحمان الشرقاوي، ثريا العسيلي، دراسات أدبية, ط.1, الهيئة المصرية العامة للكتاب,1995.
9. عبد القادر بن سالم, السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، الجزائر, اتحاد الكتاب الجزائريين.
10. عزيزة مريدن، القصة والرواية، بيروت, ط.1, دار الفكر المعاصر، 1980.
11. فنك أويغن، فلسفة نيتشه، تر: إلياس بديوي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،1974 .

12. لوكاتش جورج, نظرية الرواية، تر: الحسين سحبان، ط.1, الدار البيضاء, منشورات التل، 1988.

المعاجم والموسوعات:

1. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس.
2. الأحمر فيصل, نبيل داودة، الموسوعة الأدبية، ط.2, باب الواد الجزائر، دار المعرفة، 2009.
3. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط.2, بيروت, مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، 1984.

المقالات:

1. تاورتة العيد، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الانسانية، العدد21, جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1, 2004.